Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منا من دعا إلى عصبية...

فابن خلدون يشير في سياق مقدمته إلى أنه لا يقصد هذا المعنى الظاهري للكلمة، وإنما يعالج مفهوما أعمق لها نستطيع ايضاحه بلغتنا المعاصرة: على أنه الرابطة الاجتماعية الطبيعية التي تجمع بين مجموعة متجانسة من البشر بصلة الولاء وتدفعهم جميعا إلى الحركة والفعل والبناء والدفاع عن النفس ضد عدوان الغير.

وهذه الصلة أو الرابطة -في نظره- ليست مصطنعة ولا عابرة ولا مذمومة وانما هي خليقة ركبها الله سبحانه في طبائع البشر وجعلها قاعدة المجتمع، ومحرك التطور التاريخي، ووعاء الدعوات الدينية التي بعث بها الله لهداية البشر، ومعنى ذلك أن هذه الصلة الطبيعية ليست نقيضاً للدعوة الدينية وليست بديلاً عنها، وانما هي «المادة» الطبيعية الحاملة لقيمها ورسالتها، والقوة التاريخية الاجتماعية المجسدة لمثلها وروحها في السياق التاريخي العملي، بما يتفق مع المقولة الشهيرة: العرب «مادة» الإسلام، أي أن الرابطة الطبيعية الاجتماعية العربية هي «مادة» الدعوة الإسلامية الروحية وقوتها المادية المحركة لقيمها ومثلها في مجرى التاريخ الواقعي، أو كما يستشهد ابن خلدون من الحديث النبوي الصحيح: «ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه».

فالرابطة البشرية الطبيعية التي لا تستغني عن التسلح بها حتى دعوات الأنبياء المؤيدين من الله تعالى بالكون كله هي - إذن - هذه «المنعة القومية» التي نراها أصدق تعريف وأدقه للمصطلح الخلدوني في «العصبية».

والواقع إن أسلوب ابن خلدون، على علميته ودقته، لم يسلم من بعض المزالق في انتقاء المصطلحات، حيث استخدم مصطلح «عرب» - كما أوضحنا في موضع آخر- وهي بقصد «الأعراب» واستخدم هنا مصطلح «عصبية» وهو يعني مفهوما أقرب ما يكون إلى «القومية» وعذره ان هذا التعبير لم يتقرر بعد في زمنه للدلالة على الرابطة الاجتماعية الطبيعية بين المجموعات البشرية المتجانسة، كما أنه كان ظاهرة فردية غير مسبوقة في نطاق الفكر الاجتماعي العربي والعالمي عندئذ، ولم يكن ثمة مناخ فكري عام تحددت من خلاله المصطلحات والمفهومات العلمية الاجتماعية لينتقي منها ابن خلدون ما يلائم معانيه ومقاصده.